

## الخصائص الأنثروبولوجية الثقافية في منطقة الكاف -شمال غرب تلمسان-

### The Cultural and Anthropological Characteristics in the Region of El Kef - Northwest of Tlemcen -

مصطفى شرقي سنوسي<sup>1\*</sup>، جمال الدين بابا<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ (الجزائر)، cherguimouss@gmail.com

<sup>2</sup> المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ (الجزائر)، babadjamel.94@gmail.com

تاريخ القبول: 2023/12/17

تاريخ الإرسال: 2023/07/20

#### ملخص:

لا شك أن العلاقة الوطيدة بين التراث الثقافي اللامادي والتاريخ أدت إلى ظهور حقل جديد في العلوم الإنسانية وهو الأنثروبولوجيا التاريخية، فالتاريخ بالطبع سيظل من بين التخصصات المكرسة لدراسة الجنس البشري، والحضارة، وكل ما يتعلق بالتراث الثقافي، فلا يمكننا إذن أن ننكر أهمية التاريخ في الحفاظ على التراث الثقافي اللامادي أمام كل التيارات الإيديولوجية، والعولمة التي تسيطر على النظام العالمي الجديد.

أما منطقة "الكاف" التي تقع بضواحي قرية بني سنوس (شمال غرب تلمسان)، لم تخرج عن هذه القاعدة، حيث أنها تعرضت للكثير من التحولات من الناحية الثقافية – المعمارية واللسانية بسبب العديد من العوامل والتي نذكر من بينها العولمة، الهجرة الريفية، الاحتباس الحراري في العالم... الخ، في هذا الصدد يُلمس من المؤرخين تطبيق المناهج، والمفاهيم الملائمة لإحياء ما اندثر مع مرور الزمن، وانطلاقا من هذه المعطيات، سنحاول إبراز أهم الخصائص والميزات الثقافية، والأنثروبولوجية الخاصة بهذه المنطقة.

**كلمات مفتاحية:** خصائص؛ أنثروبولوجيا؛ ثقافة؛ تراث؛ كاف.

#### **Abstract**

The correlation that interplays between history and cultural heritage gave birth to a new field of human sciences namely, Historical Anthropology. In fact, history remains one of the disciplines devoted to the study of human species, civilization, and all that concerns cultural heritage. Hence, one cannot deny the importance of history in the preservation of cultural heritage against the ideological currents which the new world order brings. Therefore, it should be mentioned that the region of "El kef" that is located in the surroundings of Beni Snous village -Northwest of Tlemcen- does not make an exception to the rule, for it has been confronted to many degradations as far as culture architecture and linguistic developments are concerned because of numerous reasons, such as the new world order, rural exodus and the global warming. In this perspective, it is up to historians to cope with the appropriate concepts and approaches so as to try to renew what has been forgotten throughout times.

Based on such data, we will try to highlight the main cultural and anthropological characteristics and features of this region.

**Keywords:** characteristics; anthropology; culture; patrimony; El-Kef.

1- مقدمة

إنه لا محالة من محاولة فصل التاريخ عن التراث الثقافي اللامادي، ذلك لأن كلاهما مكتملا للأخر بحيث تربطهما علاقة وطيدة، فتقتضي مهمة التاريخ الإشارة لأحداث وقعت في الماضي، بينما يقتصر دور الأنثروبولوجيا إلى الكشف عن تلك الحقائق، وكل ما تحتويه من عادات وتقاليد المجتمع حتى يتوجب الحفاظ عليها من الاندثار بسبب التيارات الإيديولوجية المنبثقة عن نظام العولمة، فهو يُستمدّ من حقائق علمية ثابتة من خلال الأدلة المروية في الزمان والمكان. كما يعدّ من بين أهم الأسس التي يعتمد عليها المجتمعات في تطورها أو تخلفها بحيث يرجع فضل الدّول واعتزازها بتراثها إلى حفظ التاريخ، وكذا إنجازات الأسلاف فيما يتعلق بالتراث المادي أو اللامادي.

إشكالية البحث:

إن طبيعة البحث الذي هو ضمن الإنجاز يتطلب السؤال التالي:

- كيف تساهم الأنثروبولوجية التاريخية في توطيد وتعزيز التراث الثقافي اللامادي لمنطقة (الكاف)، القرية المتواجدة بناحية قبائل بني سنوس الجزائرية؟

الفرضيات:

من الضروري ربط ماضي المجتمع بأفراده حتى يكون باستطاعتنا مواكبة العصر الحديث بنفس العادات والتقاليد التي توارثناها من الآباء والأجداد، بمعنى آخر التوفيق ما بين الأصالة والمعاصرة من أجل الحفاظ على العادات والتقاليد الموروثة من الماضي. إن ما خلفه الأجيال السالفة للأجيال الحالية تأكيداً عن تراث مستمدّ من الثقافة الاجتماعية التقليدية أو الشعبية. وعلى هذا الأساس يتم تسليط الضوء عليه من عدّة زوايا تاريخية، وأنثروبولوجية، واجتماعية ونفسية.

يعدّ التاريخ من بين أقدم التخصصات المكرّسة لدراسة الجنس البشري، فمعرفة ماضي الإنسانية وتطوره يشكّل أمراً حيوياً في إعادة بناء الهوية الثقافية، كما يساهم بلا شك في الحفاظ على تراث المجتمعات البشرية. فدور التاريخ طبعاً هو تحليل حقائق حضارة المجتمعات المتضمّن مراعاة بعدين أساسيين هما المكان والزمان. ومن ثمّ فمنطقة "الكاف" التي تقع بالقرب من دائرة بني سنوس لا تشدّ عن هذه القاعدة.

## 2- منطقة الكاف، الأصل والمعطيات الجغرافية:

### 2-1- أصل المصطلح :

لا يمكن تحديد أصل الكلمة الحقيقي لاسم هذه المنطقة على وجه اليقين، نظرًا للاختلافات في أصلها. فالبعض من السكان الأصليين يرى أن الاسم مشتق من الحرف العربي الفصيح (ك)؛ لأن هناك تشابهًا معينًا في الشكل بين الحرف (ك) والمنطقة عند رؤيتها من منظور شامل من جهة سد بني بحدل، بينما يرجع أشخاص آخرون إن اسم القرية (الكاف) مأخوذ من الكهوف التي بُنيت بالقرب منها، ووفقًا لهؤلاء الأشخاص، فهو تغيير لفظي للحرف العربي بسبب ظاهرة المماثلة. كما يمكن للمرء أن يجد معنى آخر للاسم يتعلق بالجبال التي تهيم على الأنهار (الجبال المطلّة على الوديان). فإذا كان أصل الاسم يحمل عدة اختلافات، فهناك إجماع تامّ فيما يخص الجانب الجغرافي التي تزخر بها هذه المنطقة من مناظر طبيعية رائعة، ووديان، وجبال وصخور، ونباتات، وبحيرات.

### 2-2- أصل السكان :

يرجع أصل سكان منطقة الكاف إلى قبائل بني سنوس، وهم البربر الذين يقطنون في وادي تافنة والخميس، المنحدرون من قبيلة زناتة، حيث أن بني سنوس حلف لقبيلة زناتة الكبيرة، وقبيلة ابن حبيب.

يعود أصل سكان منطقة بني سنوس إلى البربر، المنتمين إلى قبيلة زناتة الكبرى التي استوطنت في عصر الممالك البربرية إقليم تلمسان كله تقريبًا فاختلفت الآراء وتضارب آراء المؤرخين، رغم اتفاقهم حول القبيلة الأم التي ينتمي إليها السنوسيين وحول القبيلة الفرعية التي انحدر منها هؤلاء، يرى البعض أن سكان بني سنوس ينحدرون من قبيلة بني حبيب، معللين ذلك بوجود آثار إقامتهم في المنطقة، ويحفظ ذكراهم من طرف الأساطير ( حمداوي، 2005، صفحة 130).

أما ابن خلدون فيذكر أن : " القبيلة إحدى بطون كومية، ولهم ولاء لبني كومي، ولما فصل بني كومي عن المغرب، فغادروا عندهم واتصلوا ببني يغمراسن" ( ابن خلدون، 1959، صفحة 134). أما الكاتب الفرنسي إدموند ديستان، فهو يرجح أصل سكان الكاف إلى منطقة الخميس وأولاد العربي بعدما قد طُردوا من المنطقة للاستقرار في منطقة الكاف ( Destaing, 1907, p. 22) (انظر الملحق رقم : 1)

### 2-3- نبذة تاريخية :

يتجلى وجود الجنس البشري في العصور القديمة بهذه المنطقة في الآثار التي تعود إلى فترة بعيدة جدًا في الماضي ولا سيما فترة العصر الحجري، فعلى سبيل المثال نجد الكهوف التي نحتها

الإنسان القديم التي لجأ إليها للاحتماء من سوء الأحوال الجوية، وكذلك بالنسبة الحيوانات البرية التي عاشت في تلك المنطقة.

في الواقع، توجد ستة (6) كهوف تشهد على وجود الإنسان القديم في الجبال المطلّة على الوادي، "هذه المدينة الغنية بالأثار تعود إلى عصور ما قبل التاريخ حيث عاش الإنسان في الكهوف وفي هذا الزمن القديم، قام السكان الأصليون بربط أطفالهم بالحبال لتجنّب سقوطهم المفاجئ من تجاويف الصخور الريفية" (Saridj, 2018, p. 30)، كما توجد أيضا مقبرة مهجورة قديمة جداً، ومخصّصة لدفن الأطفال الصغار، تقع هذه المقبرة بالقرب من قرية " القراب".

ففي بداية القرن التاسع عشر، نظم المرابط الدرقاوي، سيدي حامد شيخ المهاية، تمردا على الإدارة التركية، فاستجاب له الكثير من السكان الذين يحملون للأتراك هذا القدر أو ذاك من العداء، بمن فيهم سكان بني سنوس، وجيرانهم القريبون من الكاف وسيدي مجاهد، لكن باي وهران باي حسن، ضرب التمرد بقسوة، واضطرّ سيدي حامد إلى اللجوء إلى المغرب الأقصى، إفلتاً من انتقام الإدارة التركية ( حمداوي، 2005، صفحة 137).

وقد جاء المنطقة ضمن الهجرات اللاحقة للإسلام عدة قبائل معظمها من فيقيق، واستقرت في ضواحي الخميس ومن هؤلاء على ما يبدو كثير من الأسر بأولاد عربي، وبني عشير، وهم يقلدون فيقيق مدينتهم الأصلية، التي فيها "أولاد علي" أو "موسى" المستقرون بقرية الكاف ( حمداوي، 2005، صفحة 134).

إن قرية الكاف التي كانت دائما مركز مقاومة، بحكم وضعها الريفي وموقعها الدفاعي، وطبائع سكانها التحررية، سوف تصمد طويلا وسوف تستخدم كل الوسائل لمقاومة الاستعمار الفرنسي.

ففي سنة ألف وثمان مئة واثنين وأربعين للميلاد، دعا سكان الكاف الأمير عبد القادر لنجدتهم، مقدرين القدرات الدفاعية الفرنسية وحدود إمكانيتهم، إذ هاجمهم الجيوش الاستعمارية وكان الجنرال 'بيدو' قد قام منذ مدة في تلمسان.

وخاض الأمير عبد القادر معركة "باب تازا" في التاسع والعشرين من أبريل ألف وثمان مئة واثنين وأربعين، وأرغمه على الانسحاب إلى المغرب، وعزم من على التوجه إلى الكاف لضربه بقوة وكسر روح المقاومة، وفي الحادي عشر من ماي اثنين وأربعين خرج سكان الكاف لمواجهة جيوش 'بيدو'، فاحتل الخيالة المعابر المؤدية إلى القرية لاعتراض الجيوش الفرنسية، وانتشر السكان على الضفة اليمنى لنهر تافنة فوق المرتفعات المشرفة على القرية، غير أن الجيوش الفرنسية التي كان يقودها 'ماك ماهون Mac Mahoun'، كانت كبيرة بما يكفي لمحاصرة القرية من كل مكان : كتيبتان من جهة اليمين، وكتيبة من جهة اليسار والخيالة الدواي، والحميلة من جهة الوادي، كلهم في هجوم موحد هكذا لم يستطيع السكان الذين انتشروا على المرتفعات الصمود طويلا، أما المقاتلون

الذين تابعوا المقاومة فقد استشهد منهم عدد يقدر ب: 45 رجلا، وأمكن الجيوش الفرنسية عبور النهر ومحاصرة القرية والاستيلاء على أنعامها وحرق البيوت وإفساد الحقول وقطع الأشجار المثمرة، تنفيذاً لأوامر الجنرال 'بيدو' ولكن هذه الأعمال الاستعمارية كلها لم تخضع سكان الكاف بصورة كاملة ولم تقض فيهم على روح المقاومة ( حمداوي، 2005، الصفحات 138-139).

#### 4-2- الإطار الجغرافي :

##### 4-2-1- الموقع :

تقع منطقة الكاف على بعد أربعين كيلومتراً من مدينة تلمسان شمال غرب الجزائر، وعلى بضع كيلومترات قليلة من الحدود المغربية (مدينة وجدة)، يحدها شمالاً بلدية صبرة وسيدي مجاهد، إلى الجنوب يوجد سد بني بهدل (بني سنوس). من الجانب الشرقي نتجه نحو مدينة تلمسان، باتجاه الغرب نجد مدينة مغنية والمغرب.

تقع قرية الكاف في بلدية سيدي مجاهد، التابعة لدائرة بني بوسعيد الواقعة على بعد 35 كلم جنوب مغنية، تقدر مساحة هذه الدائرة بأزيد من 338 كلم<sup>2</sup>. مساحة هذه القرية : 1300 هكتار مقابل 491 نسمة، الجزء الأكبر منها عبارة عن مناطق جبلية، ما ساهم في الحفاظ على هويتها الثقافية، وبالخصوص على لهجتها الأمازيغية إلى غاية زمن ليس بالبعيد.

ومن أجل الوصول إلى هذه المنطقة، وجب عليك أن تسلك الطريق المؤدي إلى بني سنوس المتعرجة عبر أشجار الزيتون إلى قمة هضبة صخرية عالية وجبل اسمه (تزايرومي) أو (قصعة الرومي) كما فسرها الأستاذ سعيداني (انظر الملحق رقم : 2)، إذا أخذنا في الاعتبار هذا الاسم (géolinguistique)، فسوف ندرك أن السكان الأصليين لهذه المنطقة كانوا أمازيغ (البربر).

من خلال المهمة الميدانية، يخبرنا السيد سعيداني، هو من أبناء هذه المنطقة، والذي كان دليلنا خلال هذه الرحلة الاستكشافية، يقول أن هذه المنطقة كانت تسكنها قبائل البربر في عصور ما قبل التاريخ، والتي كانت تضم قبائل (أولاد بن الشيخ) و(أولاد سي أحمد).

كما أطلعنا على بعض (أسماء العائلات) التي عاشت هناك، ولا سيما ألقاب ( بن ناصر، ولاد علي موسى، وبغيلات، وشليحي، والعيسوف، وشبوبة... الخ)

استقر هؤلاء الأجداد بهذه المنطقة منذ القدم، وبعدها جاءت عائلات أخرى للعيش هناك مثل عائلة (أولاد السعيداني، وأولاد بن عطية) حيث تمرّدت على الاحتلال الفرنسي الذي مارس سياسة القمع قبل انطلاق الثورة التحريرية في 1 نوفمبر 1954.

ورغم الأساليب المهجية القديمة وسياسة القمع التي مارسها الاستعمار الفرنسي، انتفضت هذه العائلات ضد هذا النظام البربري البغيض من أجل المطالبة باستقلال البلاد.

يربط قرية "الكاف" جسر ضيق يصل الضفتين والمناطق الأخرى، شُيّد في فترة الاستعمار الفرنسي. وقد أطلق هؤلاء السكان على مدخل القرية (باب الكاف = بوابة الكاف) أو (تيفريت =

تيفريت) Tifrit التي تعني "الغار الصغير (بوغانم ، 2001) المصطلح الأمازيغي الذي كان متداولاً خلال فترة الأجداد، والذي لا يزال مستعملاً إلى يومنا هذا.

شكل(1) : خريطة تموقع قرية الكاف .



المصدر : موقع قوقل للخرائط/ <https://www.google.dz/maps/place/El+kef+++tlemcen/>

شكل(2) :صورة بالقمر الصناعي توضح الجسر الرابط بين قرية الكاف وباقي بلديات

دائرة بني بوسعيد.



المصدر : موقع قوقل للخرائط/ <https://www.google.dz/maps/place/El+kef+++tlemcen/>



المصدر: موقع قوقل للخرائط <https://www.google.dz/maps/place/El+kef+++tlemcen/>

#### 2-4-2- الينابيع والجداول والبحيرات:

ممّالا شك فيه أن فضل الينابيع والجداول التي تزخر بها المنطقة يعود بالفائدة على الإنسان والطبيعة من خلال ما توفره من أشجار، ونباتات وأعشاب، فهناك العديد من الأماكن التي تتدفق فيها المياه الجوفية إلى سطح الأرض. يمكننا أن نذكر على سبيل المثال منبع تيطاوين "Tittaouine" (انظر الملحق رقم : 3)، والذي له معنى: 'منبعين'، كما يوجد منبع (Titannaj = تيطنج) ومنبع (Onsor عنصر)، كما نجد أيضا بحيرات :

Tellaoulfif = تلاوليف (منبع الكسكاس) ، و Talakendret = تلاكندرت (أي منبع القنطرة)، وهي مصنوعة من الخشب كانت قديما تستعمل للعبور ( انظر الملحق رقم : 2) كما لبّت احتياجات القبائل للأغراض المنزلية والزراعية، من ناحية أخرى، نجد منبع (عين طلبة) الموجود أعلى الهضبة، يستمد أصله من الاسم العربي الفصيح، ثم Talaousnasen = تلاوسناسن (تلا أي المنبع باللغة الأمازيغية (IRCAM، 2017، صفحة 545)

من الطبيعي أن كثرة هذه الينابيع والبحيرات أدّى إلى ظهور شلال يسمى (Tala-oulghem = تالولغم) الذي يرتبط أصله باللهجة الأمازيغية التي كانت متداولة آنذاك، في المنطقة والتي تحمل دلالة حيوان 'الجمل' (DESTAING, 1906).

#### 2-4-3- النباتات :

وقد أدّت هذه الوفرة من المياه إلى وجود العديد من أنواع النباتات والأشجار مثل (الخروب، وأشجار الزيتون). يمكننا التمييز بين نوعين من الأشجار، أحدهما يخدم احتياجات السكان والآخر كان يستعمل في الرعي. كما نجد الذرة ، والرمان، و (البلوط)، و (الحلفاء) التي تستعملها النساء لصنع (الحصيرة)، كانت تستخدم أيضا في فراش المساجد والمنازل خلال فترة الشتاء.



هناك أيضًا عدد كبير من الأشجار (Genévriers = العرعار) التي كانت تساعد في عملية الهضم، كما أنها تعمل على تخفيف آلام المفاصل والعضلات، حيث استعملت في الطب الشعبي من طرف السكان القدماء في المنطقة. وجب التأكيد على أن القليل من الأشخاص قديما كانوا يحظون بالرعاية الطبية اللازمة والأدوية المناسبة، لذلك كان العلاج الوحيد هو اللجوء إلى الطبيعة للتداوي بالأعشاب الطبية (طب الأعشاب = Phytothérapie).

ومن النباتات والأعشاب الطبية المتوفرة في المنطقة نجد : ( نبات فرنونش = الجرجير، تمرصاد = نعناع صوفي ، بوبال (الكلخ) ، فليو، نونخة...الخ).

شكل (4) : منظر يوضح الغطاء النباتي للمنطقة.



المصدر: من إعداد المؤلف

5-2- الأثار والعمران :

5-2-1- المعالم الدينية بقرية الكاف:

5-2-1-1- مسجد القرية:

المسجد الوحيد في القرية قديم جدا عمره ما بين 5 الى 6 قرون ، تلتف حوله البنايات قرية. أما معلّم القرآن، فكان في أغلب الاحيان يأتي من المغرب بحكم قرب المسافة كون القرية تقع بالقرب من المنطقة الحدودية، وكان أهل القرية يتكفلون بأجرته وطعامه وفق برنامج وبرنامج ورزنامة مسطرة ومضبوطة من قبل أهالي المنطقة. أما فيما يخص قلم الحبر، فكان يصنع من مادة الخيزران أو ما يطلق عليهم محليا بالقصب الحر. أما اللّوح، فكان يصنع محليا من شجرة البطمة



التي لا تزال حية شامخة الى يومنا هذا في الجانب السفلي للمسجد، مقابلة لمنبع الماء: " عين الصواريج".

### 2-1-5-2- الأضرحة والمزارات:

يوجد بالقرية ضريحين، الأول محاذي لمنبع العين الشرقية المقابلة لباب المسجد، وهو يدعى ضريح سي محند الشريف، لا ينحدر من ابناء القرية وانما احد الشرفاء الذين استقروا بالكاف وكانت لهم سمعة جيدة. تقول الاسطورة في هذا الصدد أن العين كاد جريانها ينقطع، فطلب سي محند أن يدفن بعد موته بجانبها كي تستمر في الجريان، مضيفا أنه ان انقطعت، فهذا يدل على أنه ليس بشريف النسب وإن كان العكس فهو ينحدر من نسب شريف، ومنذ ذلك الحين لم ينقطع جريانها الى يومنا هذا .

### 2-6- هجرة أهل القرية:

لم تعد قرية الكاف الا مدينة خاوية على عروشها، يرجع ما ألت اليه القرية الى العشرية السوداء التي مر بها الوطن، عدم توفر الحماية والأمن الكافيين لسكان الكاف، أدى رحيلهم بصفة نهائية منها، ومنذ ذلك الحين بقيت القرية التي كانت تنبض بالحياة والتضامن والتعايش مع الغريب، مجرد أطلال فقط.

### 3- الخصائص الأنثروبولوجية للمنطقة :

قبل الشروع في الدراسة الأنثروبولوجية للمنطقة، من الضروري وصف نوع السكن الذي عاش فيه الأجداد وقضوا فيه حياتهم البسيطة؛ لأن الهندسة المعمارية يمكنها أن تحدّد للمرء هويته الثقافية وانتماؤه العرقي.

ومع دخولك إلى قرية "الكاف"، تتفاجئ بمبانيها المعمارية المتميزة، والتي لا زالت شاهدة على بعدها الأمازيغي (البربري)، وكذا تصميم بيوتها الطينية والحجرية، إضافة إلى نبات التين الشوكي الذي يحيط بالبيوت من كل جهة، وبعبارة أخرى، قرية بربرية نموذجية ظلّت صامدة لفترة طويلة. تعتبر التقنيات المعمارية وكذلك المواد المستخدمة في البنايات محلية الصنع، وتندمج بشكل متناغم مع المناظر الطبيعية. يمكن القول أن هذه التصميمات المعمارية في تلك الفترة لم تواجه أي صعوبة في البناء بل على العكس من ذلك، فهي تشهد على براعة العقل البشري. في الواقع، تم تصميم هذه المساكن بطرق عفا عليه الزمن في انسجام تامّ بين التصميم المعماري والاعتبارات الثقافية والعرقية الأخرى؛ لأن المسكن الأمازيغي هو نتيجة المعتقدات والمواقف الروحية، وهو ما يكشف بالطبع عن أصالته. وبسبب الاحتلال الفرنسي الذي استقر في المنطقة، استقرّ سكان "الكاف" في الجبل الواقع أمام المخابئ التي كانت تأوي المجاهدين الجزائريين في حال تعرضهم لهجوم من قبل جيوش الاحتلال.

شكل (5) : مكان تخزين المؤونة من قبل سكان أهل الكاف.



المصدر: من إعداد المؤلف

### 3-1- الممارسات الثقافية بالمنطقة:

تعتبر منطقة "الكاف" كغيرها من المجتمعات البشرية لها ثقافتها وتقاليدها وعاداتها وطقوسها التي تحدد هويتها وتراثها. ومع ذلك، ومع التيارات الأيديولوجية التي أحدثتها العولمة في الزمن الحاضر، أصبح هذا التراث مهدداً بالانقراض مع مرور الوقت، ويرجع ذلك إلى أسباب من بينها النزوح الريفي، ونقص الوسائل المتاحة للسكان مما دفعهم إلى مغادرة المنطقة للاستقرار في المدن، إضافة إلى عامل آخر مهم، وهو العشرية السوداء التي شهدتها البلاد في تسعينيات القرن الماضي، وكذا الاحتباس الحراري والعولمة... كل هذه العوامل ساهمت في هشاشة هذا التراث اللامادي.

وبعد لقاء أجريناه مع رئيس الدائرة، أخبرنا عن نيته في إعادة إعمار المنطقة من خلال المساهمة في إنجاز بنية تحتية جديدة .

يعتبر تراث المنطقة تراثاً ثقافياً ذا قيمة لا تقدر بثمن، ويعتبر من الضروري ضمان حمايته، ف"وجب على الدولة أن تتولى أعمال التنقيب بعناية كبيرة بهذه المنطقة التي تبدو غنية جداً، ومتنوعة من حيث الاكتشافات الأثرية" (Saridj, 2018, p. 36)

لا شك في أن منطقة "الكاف" تزخر بجملة من العادات والطقوس بما في ذلك (لعبة السونة) التي تقام سنويا بمناسبة العيد الكبير (عيد الأضحى).

تقام هذه اللعبة التي تجمع عدد كبير من الأطفال في المنطقة بارتداء الخرق المصنوعة من الأوراق وجذوع الأشجار والنباتات من أجل الانسجام التام مع الطبيعة، وهذا طبعا دليل على الارتباط الكبير لشعوب المنطقة بالأرض وبوفرة الحصاد.

تدوم مدّة الاحتفال يومان يذهب خلالها الأطفال، وهم يطوفون بالبيوت قصد طلب المال والسميد المخصّص لتحضير طبق الكسكسي المشهور بالمنطقة. تعود أصول لعبة "السونة" إلى المعتقدات الأمازيغية.

### 3-1-1- (لعبة عيشة الجمل):

يتزامن هذا النوع من الألعاب مع حلول شهر رمضان المبارك. تتركز طبيعة هذه اللعبة بإدخال ثلاثة أطفال في قالب على شكل جثة أو هيكل عظمي يشبه مظهر الإنسان، يقوم خلالها الأطفال بجمع الأموال حتى يتمكنوا من الاحتفال بحماس كبير ببداية هذا الشهر الكريم. إنها بالطبع لعبة لها بعد ديني محض.

### 3-1-2- العيارة :

هو مصطلح له أيضاً دلالاته الدينية من خلال يتم تقديم طعام الكسكسي لجماعة المصلين في المسجد. إنها طريقة للدعاء بالرحمة من الله عزّ وجل، وطلب الاستسقاء لتزول الغيث من أجل محصول زراعي وفير.

### 3-1-3- طقوس حفل زفاف المنطقة:

مهّدت الأبحاث التجريبية في طبيعة اللغة الطريق لبعض العلماء لتقديم نتائج مهمّة في تخصص علم اللغة، ولقد تم إجراء عدد لا يحصى من الأبحاث مؤخراً كشفت عن الارتباط الوثيق بين اللغة والعلوم الإنسانية.

لا شك أن العلاقة بين اللغات والممارسات الشعائرية والتراث أدّى إلى ظهور العديد من التخصصات، ولا سيما علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الجغرافي، وإثنوغرافيا الخطاب، وعلم اللغة الجيولوجي والأنثروبولوجيا اللغوية. هذا الأخير يتعامل مع اللغة في إطار تفاعل اجتماعي يُعنى باللغة النابعة من العلاقات الإنسانية مع مختلف العادات والطقوس والمعتقدات. بمعنى آخر، الأخذ بعين الاعتبار الثقافة بمفهومها الشامل.

تؤكد البعثات الأنثروبولوجية التي قام بها كلود ليفي شتراوس ( Claude Lévi-Strauss ) أهمية اللغة واللهجة في انتشار التراث الثقافي اللامادي في مجتمع ما. يؤكد في كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية": " يحتل علم اللغة مكانة استثنائية لا جدال فيها ضمن العلوم الاجتماعية التي ينتهي إليها " (انظر الملحق رقم : 3). لذلك يمكن الجزم بأنه من غير المنطقي، التعامل مع أي خطاب كان منفصلاً عن ثقافته.

فالزواج كما هو الحال في جميع المجتمعات البشرية، هو أولاً وقبل كل شيء عقد ميثاق تتخلله جملة من التعاملات، وهو أيضاً أحد الطقوس الانتقالية المعبّرة عن قدرات رمزية للممارسة المقدسة؛ لأن كل منطقة في البلاد لها عاداتها الخاصة بالزفاف، أما تلك الموجودة في منطقة (الكاف)، فتتميز بطقوس متجذرة في المجتمع تعود إلى عدة قرون.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار سكان المنطقة ومراسم الزفاف، فإننا سنجد عددًا لا بأس به من المصطلحات المعجمية التي تشير إلى هذه الطقوس، والتي نادرًا ما نجدها مستعملة عند سكان المناطق الأخرى، هذا راجع بلا شك إلى الأهمية البالغة التي يولها السكان لطقوس هذا الاحتفال، والتي تتكون أساساً من بعض الملابس الأصبيلة معينة التي يرتديها العروس والعريس خلال فترة الاحتفال تخليداً للتقاليد المتوارثة عن الأجداد في الماضي.

#### 3-1-4- اللهجة المحلية:

لطالما كانت الشلحة اللهجة الوحيدة المتداولة بين افراد أهل الكاف، وذلك خلال عدة حقبات مرّ بها هذا العرش الأمازيغي، غير أنها انطفت تدريجياً بسبب الاستعمار، حيث اضطرّ أهل الكاف استبدالها بالعربية الدارجة اثناء حضور الصغار حفاظاً على أسرار الثوار الذين كانوا يتوافدون باستمرار على القرية بحكم موقعها الجغرافي المحاذي للجبال، حرص الكافيون على حرمان المستعمر من اخبار المجاهدين الذي كان يحصل عليها من خلال استدراج الصغار، ما المنطقة تقف صامدة لسنين عديدة في وجه المدّ، لكنها بالمقابل دفعت الثمن غالياً، بفقدانها لهجتها الشلحة لدى الجيل الجديد، التي لم تعد يوجد لها مكان الى في ذاكرة بعض الأفراد الطاعنين في السن، أمّا الجيل الجديد فلا يفقه منها الا بعض الكلمات المتناثرة هنا وهناك وبالتالي فقدت المنطقة للأسف الكثير من موروثها الثقافي الأمازيغي.

#### 4-خاتمة:

مما لا شك فيه هناك علاقة وطيدة ما بين التاريخ والتراث الثقافي اللامادي، لأن كلاهما يسعى إلى دراسة ماضي الأسلاف وكل ما يحتويه من عادات وتقاليد وأعراف وعمران وفنون، الشيء الذي أدّى إلى ظهور حقل جديد من العلوم الإنسانية وهو الأنثروبولوجيا التاريخية. إن منطقة الكاف التي توجد قرب قرية بني سنوس غرب الجزائر خير دليل على ذلك، إن هذه المنطقة قد تعرّضت للكثير من التدهور من الناحية الثقافية وما يشملها من تقاليد وعادات وعقائد بسبب العديد من العوامل نذكر من بينها الاستعمار الفرنسي والعملة والعشيرة السوداء بسبب التيارات الإيديولوجية التي عرفتها بلاد الجزائر في فترة التسعينات. وعلى هذا الأساس فإن دور الأنثروبولوجيا التاريخية يتمركز حول دراسة تراث المجتمع مع إدخال مفاهيم علمية جديدة من أجل الحفاظ على هذا التراث من الاندثار.

#### الملاحق:

1- ومما لا شك فيه فإن منطقة الكاف كانت في الآونة الأخيرة أهلة بالسكان ينحدر أصولهم من قرية أولاد الخميس، وتقول الاسطورة أن هؤلاء قد طردوا من المنزل الذي استقروا فيه ما بين الخميس والواد العربي، ومن بين هؤلاء المبعدين جاء بعضهم للاستقرار في منطقة الكاف

« C'est sans doute à une époque plus récente que fut peuplé le Kef par des fractions venues des bords de l'O. Khemis. Ceux-ci dit la légende, les chassèrent du Menzel qu'ils occupaient entre le Khemis et Ouled Larbi. Parmi les expulsés, les uns vinrent s'établir au Kef », (Destaing, 1907, p. 24).

2- المخبر سعيداني أحمد، من مواليد قرية الكاف، أستاذ بالمركز الجامعي مغنية، وباحث مختص في تراث وتاريخ المنطقة.

3- تسمية أمازيغية، وهي صيغة جمع تعني العيون ومفردتها تيط: (العين) (IRCAM, 2017, p. 641)

4- « dans l'ensemble des sciences sociales auquel elle appartient indiscutablement, la linguistique occupe cependant une place exceptionnelle ». (Lévi-Strauss., 1958, p. 37).

### قائمة المراجع :

#### أولا المراجع باللغة العربية :

1. بوغانم ، خ . (2001). *تعدد اللهجات الأمازيغية وسؤال التوحيد والمعييرة* . Récupéré sur <http://tawiza.byethost10.com/Tawiza54/bughanm.htm?i=1>
2. -ابن خلدون، ع . (1959). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر* . ج 7 . بيروت: دار الكتب العلمية.
3. -حمداوي، م . (2005). *النبات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرين (قرى العزائل نموذجا)* . الجزائر : جامعة وهران . مخطوط أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع.

#### ثانيا المراجع باللغة الأجنبية :

1. - DESTAING, E. (1906). *Fêtes et coutumes saisonnières chez les Beni Snous. revue africaine, 50.*
2. - Destaing, E. (1907). *étude sur le dialecte bèrber de Beni snous*. Paris: Ernest le roux.
3. - IRCAM. (2017). *Dictionnaire général de la langue amazighe, amazigh-français- arabe*. Rabat: centre de l'aménagement linguistique. : publication de l'institut Royale de la culture Amazigh.
4. - Lévi-Strauss., C. (1958). *anthropologie structurale* (Vol. Tome1). Paris: Plon.
5. - Saridj, M. (2018). *Beni snouss : le pays des merveilles*. Tlemcen: konouz édition.